خطبة صلاة الجمعة 26/ 3/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أَنفق أُنفق عليك)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية: هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الثالثة عشرة في سلسلة عنوانها (**توعية**)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **أَنفق أُنفق عليك**.

أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قال الله عز وجل: يا ابن آدم، أنفقْ أُنفِقْ عليك، وقال: يدُ الله ملآى، لا يَغيضُها نفقة، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ، أَرَأَيتم ما أنْفَقَ منذُ خلق السمواتِ والأرضَ؟ فإنه لم يَغض ما بيده**»

في هذا الحديث فوائد كثيرة منها هذه الخمسة:

أولاً: هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم، وإذا سمعتم عن حديث أنه أخرجه البخاري ومسلم فاعلموا أنه من أصح الأحاديث، فالأحاديث الصحيحة مراتب، أعلاها ما اتفق عليه الشيخان.

فبأعلى درجات الصحة جاء الحديث يقول يا ابن آدم أنفق أنفق عليك.

ثانياً: هذا الحديث يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل وهو ما يسمى عند العلماء بالحديث القدسي، والحديث القدسي: هو ما أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسنده إلى ربه عز وجل، والفرق بين القرآن والحديث القدسي "أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحي جلي، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند الرسول ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام".

وفي هذا الحديث القدسي يقول الله تعالى: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك».

ثالثاً: جاء هذا الحديث مطلقاً في الزمان عاماً في الأشخاص.

فسواء كنت في زمن الأزمة أو الراحة، وسواء كنت في زمن الحرب أو السلم، وسواء كنت في وقت توفر السيولة أو شحها، يا ابن آدم أنفق مما تستطيع أنفق عليك، فالحديث غير مقيد بزمان معين بل هو مطلق.

وسواء كنت مليئاً أو متوسطاً، غنياً أو فقيراً، مجتهداً بالطاعة أو مقصراً، مؤمناً أو غير مؤمن يا ابن آدم أنفق مما بوسعك أنفق عليك، فالحديث عام في الأشخاص، ومطلعه يا ابن آدم.

وقد أخرجه الإمام مسلم في باب الحث على النفقة وتبشير المنفق، في دلالة على أن الإسلام يحث على الإنفاق المبرور ويبشر المنفق بالعوض والخلف.

وأخرجه البخاري في باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ﴾ [الفتح: 15] يريد البخاري أن يقول إن ما جاء في حديث أنفق أنفق عليك كلام الله الذي لا يتبدل فهو حق ثابت لا يتغير ولا يزول.

جاء في فتح المنعم شرح صحيح مسلم: ("يا ابن آدم أنفق أنفق عليك" -أي لا تخش نفاد ما لديك، فالله هو الرزاق ابتداء، والرزاق حالاً واستقبالاً. خزائنه لا تنفد -"يمين الله ملأى"- على

الدوام، معطاءة "سحاء" على الدوام، لا ينقصها العطاء مهما أعطت "لا يغيضها شيء" دوامَ "الليل والنهار".

لو تدبرنا كم أنفقت البشرية؟ وكم استهلكت من أرزاق منذ خلق الله السموات والأرض؟ ومع ذلك لم تنفد خزائنه، بل لم تنقص، فهو القائل جل شأنه "لو أن أهل السموات والأرض قاموا في صعيد واحد فطلب كل منهم ما طلب فأعطيت كلاً منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما يَنْقُص المِخْيَطُ إذا أُدِخلَ البحرَ".

أرأيتم ماذا أنفق مذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم "يغض" ولم ينقص "ما في يمينه" يعطي ويمنع، كل يوم هو في شأن).

وقد تواترت القصص الواقعية في الماضي والحاضر على إنفاق الله على من أنفق ومضاعفةِ النفقة له أضعافاً كثيرة.

جاء في الكواكب الدراري شرح البخاري: أنفق أي على عباد الله ينفق الله عليك أي يعطيك خَلَفَه بل أكثر منه أضعافاً مضاعفة. يحكى عن بعض الصوفية أنه تصدق برغيفين محتاجاً إليهما فبعث بعض أصحابه إليه سفرة فيها إدام وثمانية عشر رغيفاً، فقال لحاملها: أين الرغيفان الآخران!

قال: كنت محتاجاً فأخذتهما في الطريق منها، فقيل له كيف عرفت أنها كانت عشرين، قال من قول الله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: 160].

يا آدم أنفق أنفق عليك!.

ذكر الشيخ علي الطنطاوي في ذكرياته عن الشيخ سليم المسوتي رحمه الله وكان مجلسه قريباً من باب الدار، وكانت مائدة الإفطار في رمضان قد أُعِدّت ودنا المغرب، فقرع البابَ فقيرٌ يسأل ويُقْسِم أن أهله في البيت صيام وليس عندهم شيء يؤكَل، فتلفّت فلم يجد حوله أحداً من أهله، فتناول طبقاً وبعض الخبز فوضعها جانباً وقال له: احمل هذا كله. فحمله وذهب به.

ودخل النساء فلم يجدن الطعام، فسخطن وصِحْن عليه وتكلّمْنَ كلاماً شديداً، وهو صامت.

وضرب المدفع وأذّن المؤذن من جامع التوبة، فإذا الباب يُقرَع، وإذا بألوان الطعام من الحارّ والبارد والحلو والحامض تدخل عليه! وإذا القصّة أن سعيد باشا شمدين، أحد كبار الوجهاء، كان قد دعا ضيوفاً فلم يحضروا، فأمر بحمل الطعام كله إلى دار الشيخ.

فقال: أرأيتن مكافأة الصدقة؟!.

يا آدم أنفق أنفق عليك!.

وجاء في البداية والنهاية (عن الزهري: تصدق سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفا ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة، قال فكثر ماله حتى قدمت له يوماً سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام، فجعلها كلها في سبيل الله.

ولا زال الله يبارك له في ماله ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينار- وكانوا مائة-، وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاه الله من السلسبيل.

وأعتق خلقاً من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالاً جزيلاً، من ذلك ذهب قطع بالفئوس حتى مجلت أيدي الرجال).

والحاصل أن مصداق الحديث يا ابن آدم أنفق أنفق عليه تجدونه في القرآن والحديث والواقع.

رابعاً: النفقات أربعة أنواع فنفقة واجبة ومستحبة ومكروهة ومحرمة:

أما النفقة **الواجبة** فنفقتك على نفسك وعلى زوجك وعلى أولادك الفقراء الذكور حتى يصيروا كاسبين والإناث حتى تتزوجن.

وتجب النفقة على والديك إن كانا فقيرين وكنت غنياً، وتجب على الحواشي من الإخوة والأخوات ونحوهما إن كانوا فقراء وكنت غنياً مع اتحاد الدين.

وتجب نفقتك على كل حيوان أو نبات ملكته، وتجب النفقة التي أوجبتها على نفسك كالنذر أو أوجبها الله عليك كالزكاة.

وأما النفقة **المسنونة** فالتوسعة على الأهل والإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك، وأما النفقة **المكروهة** فما فيه سرف، وأما **المحرمة** فالنفقة على المعاصي والأذى والتبذير.

خامساً: فائدة: المال في الاقتصاد الإسلامي ليس هو الغاية الرئيسة بل هو وسيلة لتحريك عجلة الاقتصاد وهو مخزن للقيمة، فكنز المال بأيدي أشخاص أو مؤسسات أو دول يؤدي إلى ركودة اقتصادية، وإنفاق المال في أوجه الخير هو الذي يحرك عجلة الاقتصاد ويعود بالنفع على الجميع.

أيها الإخوة:

إن الله تعالى وعد المنفق بأنه سيخلف عليه أضعافاً كثيرة في الدنيا قبل الآخرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245]، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**» [البخاري].

والحمد لله رب العالمين